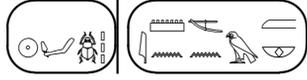


حور محب على عرش الملك



شكل ١: حور محب الملك.

يدل ما كُشف عنه من آثار باقية حتى الآن على أن الملك «أي» السالف الذكر لم يحكم أكثر من خمس سنوات، كما أننا لم نعرف من آثاره كذلك كيف كان مصيره، فهل مات حتف أنفه أو أعلن عليه القائد الأعلى للجيش «حور محب» العصيان وقتله؟ وتدل ملاحظات الأحوال على أن الرأي الأخير هو المرجح؛ إذ كان «لحور محب» بلا شك شيعة يناصرونه في «طيبة» على الرغم من أنه كان قد اختار «منف» مقره بوصفه قائدًا للجيش المصرية، وكذلك بوصفه الوصي على الفرعون «توت عنخ آمون» مدة حياته. وقد كان «حور محب» صاحب رأي صائب وفطنة سديدة في اختياره هذا؛ إذ كانت «طيبة» في الواقع بعيدة عن وسط الملك، وعن الإمبراطورية الآسيوية التي كان يريد أن يعمل جهده لاستردادها لمصر كاملة بعد أن أضاعها «إخناتون» لاشتغاله بإصلاحه الديني العظيم.

ويُلاحظ أن «حور محب» قد تجاهل عهد سلفه «أي» في نقوشه التي تركها لنا عن كيفية توليه عرش مصر، وهذا هو السبب الذي من أجله نعتقد أنه ثار على الفرعون «أي» وانتزع منه الملك، وكل ما نعلمه في هذا الصدد هو أنه عندما أُعلن موت «أي» كان «حور محب» في مدينة «منف»، وأنه خرج منها في موكب حافل، وأن ذلك حدث على يد الإله «حور» رب «حت نسوت» عاصمة المقاطعة الثامنة عشرة بالوجه القبلي «الكوم الأحمر» جنوبي «شارونا» الحالية، على حسب رأي الأستاذ «كيس» (راجع A. Z, 58 pp. 97ff, Gauthier Dic Geogr. IV, p. 86).

وقد قص علينا «حور محب» نفسه قصة صباه وحياته الحكومية وتتويجه في «طيبة»، وبداية حكمه على تمثال مزدوج من الجرانيت الأسود يمثله هو وزوجه الملكة «موت نزمت»، والتمثال محفوظ الآن «بمتحف تورين»، (راجع Br. A. R. III: §§ 24ff). وسنترك المتن يحدثنا عن قصة هذا الفرعون العظيم، فاستمع لما جاء فيه:

شبابه

يعيش «حور»، الثور القوي، حاضر الخطط، محبوب الإلهتين، عظيم المعجزات؛ في «الكرنك»، حور الذهبي، الراضي بالصدق، منشئ الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين، «زسر خبرو رع» «ستبنرع» ابن الشمس، رب التيجان، محبوب «أمون» «حور محب»، ومحبوب «حور» سيد «حت نسوت»

... ثور والدته، وابن «أمون» ملك الآلهة، وهو الذي نشأه «حور» بن «إزييس» وحرسه، كما كان بالحامي لأعضائه. ولما خرج من الفرج كان متقمصاً القوة، وكانت تعلوه صبغة الإله، وقد صنع ... ومن يحني له الذراع وهو لم يزل طفلاً، ومن يقدم له الطاعة العظماء والصغار ... الطعام وما يؤكل، وهو لا يزال طفلاً، بدون نصيحته ... عظيم أمام الأرض كلها، ومن كانت في لونه صورة إله، ومن كانت فيه قوة والده «حور» وقد وضع نفسه وراءه (حماية)، والناس قد أحضروا كل ... وقد عرف يوم رضاه ليمنحه مملكته.

تعيينه في الوظيفة

تأمل! إن هذا الإله قد رفع شأن ابنه أمام الأرض قاطبة، وأراد أن يمد في خطاه حتى حلول اليوم الذي يجب أن يتسلم فيه وظيفته، وكان قلب الملك راضياً بشئونه، ومسروراً باختياره، وقد نصبه ليكون رئيس الأرض، وليدبر قوانين الأرضين بوصفه أميراً وراثياً على هذه الأرض كلها، وقد كان فذاً منقطع القرين، وكان الناس يسرون على حسب أمره، وقد أدهش الناس بما خرج من فمه. وعندما كان يطلب للمثول أمام الفرعون كان الخوف يدب في القصر. وعندما كان يفتح فمه، وعندما كان يجيب الملك فإنه كان يسره بما كان يخرج من فيه، وهو الوحيد الممتاز الذي لا مثيل له.

... وكانت كل خطوة له هي خطة «إبيس» (تحت) وقراراته جزء من قرارات رب «الأشمونين» وكان ينعم بالعدالة مثل «خنطي» (الإله أوزير)، وقلبه مسرور بها مثل الإله «بتاح»، وكان عندما يستيقظ في الصباح يعطيها حقها. والطريق ... أحواله. وأما من كان يسير على نهجها (العدالة) فإنها هي التي كانت تحميه على الأرض مخلداً.

تعيينه نائباً للملك

تأمل! لقد أدار شئون الأرضين سنين عدة، وكان المراقبون يبلغونه ... وانحنى المجلس أمام أبواب القصر خضوعاً له كما كان يأتي إليه هناك رؤساء الأقواس التسعة والجنوب والشمال، وكانت أيديهم تبسط في حضرته مقدمين لحياه

التحيات كما يقدم لإله (ملك)، وكل شيء يُنفذ كان بأمر منه. وعندما كان يحضر كان الخوف منه عظيمًا في أعين الناس، وكان الفلاح والصحة يطلبان إليه، كما كان يُرحب به بوصفه والد الأرضين والممتاز النصيحة التي وهبها إياه الإله ليدير ...

تتويج «حور محب» في طيبة

وبعد أن انقضت عدة أيام على ذلك عندما كان أسن أولاد «حور» هو الرئيس، والأمير الوراثي في كل هذه الأرض، تأمل! فإن هذا الإله الفاخر «حور» رب «حت نسوت» كان قلبه يتوق إلى أن يمكن ابنه على عرشه الأبدي، وقد أمر ... «أمون» وقد سار «حور» نحو «طيبة» مدينة رب الأبدية في ابتهاج، ومعه ابنه في أحضانه إلى «الكرك» ليقدمه أمام «أمون»، ليقلده وظيفة الملك، وليقضي حياته ملكًا، تأمل، لقد حضروا في ابتهاج في وقت عيد الأتصر الجميل. وقد رأى «أمون» جلالة هذا الإله «حور» رب «حت نسوت» ومعه ابنه بوصفه ملكًا فقدمه ليمنحه وظيفته على العرش، تأمل! فإن «أمون رع» كان مفعماً بالسرور عندما شاهده أتياً في يوم تقديم قربانه. وبعد ذلك قدّم نفسه لهذا الأمير، والحاكم الوراثي، ورئيس الأرضين «حور محب».

زواج «حور محب» من الأميرة «موت نزمت»

وتوجه «أمون» نحو القصر وأتى به؛ أي (الملك) أمامه إلى محراب كبرى بناته، فقدمت له الخضوع، وقبلت جماله وقعدت أمامه.

فرح الآلهة بهذا التتويج

وكان الآلهة أسياد «حجرة النار» في ابتهاج بسبب هذا التتويج، كما أن الآلهة «نخبت» و«بوتو» و«نيت» و«إزيس» و«نفتيس» و«حور» و«ست» وكل تاسوع الآلهة الذين يشرفون على العرش العظيم قد رفعوا أكف المديح حتى عنان السماء، مبتهجين برضاء «أمون». تأملوا! إن «أمون» قد حضر وابنه أمامه إلى القصر ليضع تاجه على رأسه، وليطيل له حياته كلها، ولقد اجتمعنا

سويًا لأجل أن نمكن له. دعنا نعد له كل حلي «رع» (أي التي كان يتحلى بها «رع» عندما كان ملكًا على مصر)، ودعنا نشكر «أمون» من أجله: لقد أحضرت لنا حامينا، فامنحه أعياد «رع» الملكية الثلاثينية وهي سني «حور» بوصفه ملكًا؛ لأنه هو الذي سيرضي قلبك في وسط «الكرنك»، وكذلك في «هليوبوليس» وفي «منف»، وإنه هو الذي سيجعلها في بهاء.

الإلهة تقرر ألقاب «حور محب»

دع الاسم العظيم لهذا الإله الطيب وألقابه تُكتب مثل اسم جلالة رع كما يأتي: (١) «حور»: الثور القوي، حاضر الخطط، محبوب الإلهتين، عظيم المعجزات في «الكرنك»، «حور» الذهبي، الراضي بالصدق، وخالق الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، «زسر خبرو رع» «ستبترع»، ابن «رع»، محبوب «أمون» «حور محب» معطي الحياة.

العيد في الأقصر

وبعد ذلك خرج هذا الإله المبجل «أمون» ملك الآلهة إلى خلف قصره، وأمامه ابنه، فضم جلالته وهو متوج بتاج الملك ليسلطه على ما يحيط به قرص الشمس، والأقواس التسعة تحت قدميه، والسماء في عيد، والأرض في فرح، وقلوب تأسوع آلهة مصر سعيدة. تأمل! لقد كانت كل الأرض في سرور، وعلت أصواتهم حتى السماء، والعظماء والسوقة أخذوا في أسباب المسرات، والأرض كلها كانت في ابتهاج. وبعد الانتهاء من عيد الأقصر هذا عاد «أمون» ملك الآلهة في سلام إلى «طيبة».

إصلاح المعابد

وبعد ذلك انحدر جلالته في النيل كأنه صورة الإله «حوراخن». تأمل! فإنه قد نظم شئون هذه الأرض؛ إذ أعاد العدالة فيها كما كانت في عهد الإله «رع»؛ فأصلح المعابد من أول برك المستنقعات (في الدلتا) حتى بلاد النوبة، ونحت تماثيل لهم عددها أكثر من ذي قبل، وزاد في جمال في ما قد صنعه. وقد فرح

عندما رآها بعد أن كان قد وجدها أخنى عليها البلى فيما سلف، ورفع بنيان معابدهم (الآلهة)، وسوى مائة صورة بأجسامها محكمة الصنع من كل حجر ثمين فاخر، ثم بحث عن حدود أملاك الآلهة التي كانت في الأقاليم في هذه الأرض، ثم أمدها بما كانت تُمد به منذ الزمن الأزلي، وخصص لهم قرابين يومية، أما أواني المعابد جميعها، فقد صُنعت من الفضة والذهب، وجهزها (المعابد) بالكهنة المطهرين والكهنة المرتلين، وبخيرة رجال الجيش، ومنحهم أراضي وماشية مجهزة بكل جهازها.

الصلاة للملك

فكانوا يستيقظون مبكرين لينشدوا لرع الأغاني في صباح كل يوم: ليتك ترفع لنا من شأن مملكة ابنك الذي يرضي قلبك «زسر خبرو رع» «ستبترع» «حور محب». ليتك تمنحه عشرة آلاف من الأعياد الثلاثينية الملكية، وتجعله منتصرًا على الأراضى كلها مثل «حور بن إزيس» بقدر ما أبهج قلبك في «هليوبوليس» متحدًا مع التساع المقدس.

التعليق: وعلى الرغم مما جاء في هذا المتن من فجوات بسبب تهشيم الحجر فإنه يقدم لنا صورة واضحة عن أصل هذا الفرعون الغامض النسب، وكيف تسلق مدارج الرقي بما ناله من حظوة مستمرة في البلاط بذكائه ومهارته لا بحسبه ونسبه، وتدل شواهد الأحوال كلها كما ذكرنا من قبل على أن الملك الذي يتحدث عنه «حور محب» في هذا المتن هو الفرعون «توت عنخ آمون»، ولا نزاع في أن «حور محب» كان من أسرة ليست عريقة النسب؛ ولا أدل على ذلك من أنه أغفل في نقوشه كلها ذكر والديه. وقد شقَّ طريقه بعد كفاح طويل حتى وصل إلى عرش الملك. وكان على ما يظهر من أتباع شيعة «آمون»؛ ولذلك كانت الأمور كلها مهيأة له لاعتلاء العرش بعد موت «أي»، وبخاصة لأنه كان القائد الأعلى للجيش.

وقد تغاضى «حور محب» بعد أن وصف لنا حياته قبل تولي العرش عن التحدث إلينا عن كيفية توليه الملك، بل قال: «بعد أن انقضت عدة أيام على ذلك عندما كان بكر أولاد «حور» هو الرئيس الأعلى والأمير الوراثي ... إلخ». ونسب نفسه بأنه ابن الإله «حور» إله «حت نسوت»، وهي بلدة من أعمال المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعات

الوجه القبلي، ثم جعل هذا الإله المحلي يقوده إلى «طيبة» ليتوّج على يد ملك الآلهة «أمون رع» الذي كان يُعد الإله الأعظم للدولة، وهو الذي ناضل من أجله «حور محب» ليعيد مجده، وقد قبل هذا الإله العظيم أن يزوّجه من ابنته «موت نمت» التي لا تعرف لها نسباً قط، ولا يبعد أنها كانت من البيت المالك لتكون محللاً ومبرراً لاعتلاء «حور محب» عرش الملك. ولا نزاع في أن مثل هذا الزواج الذي تمّ على هذه الكيفية يُعد ابتكاراً جديداً من الابتكارات التي كان يخترعها ملوك مصر لجعل شرعيتهم لتولي الملك قانونية في نظر الشعب، فما نحن نجد هنا إله مقاطعة يقود أحد أبنائها إلى الإله الأعظم ليزوّجه من ابنته، وليس لهذا الملك الجديد أي مبرر لاعتلاء العرش إلا قوة ذكائه ومعاذته لكهنة «أمون» الذين عضهم الدهر بنابه فترة لا يُستهان بها في عهد «إخناتون» وخلفه، هذا إلى أنه كان صاحب القول الفصل في الجيش الذي كان يشد أزره، ويسيطر على البلاد به، ثم توج «حور محب» ملكاً على البلاد، وقد كان ذا فطنة في اختيار ألقابه؛ إذ جعلها تنسجم مع مقتضيات الأحوال التي وُجد فيها؛ فوصف نفسه بأنه حاضر الخطط، وأنه عظيم المعجزات في «الكرنك»؛ مشعراً الكهنة بأنه سيقوم في هذا المعبد بالأعمال المدهشة إكراماً لوالده «أمون». ثم قال لنا إنه خالق مصر، وهذا حق كذلك؛ لأنه قد أحيها بعد أن صارت كأن لم تغنّ بالأمس، وأعاد لها شيئاً كثيراً من مجدها في الخارج بالفتح، وفي الداخل بإصلاح قانونها، وبناء معابد الآلهة التي قضى عليها «إخناتون». وبعد التتويج أُقيمت الأفراح والأعياد، ودعا الآلهة لهذا الملك العظيم. ولم تكد تنتهي هذه الأعياد التي كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها حتى امتطى «حور محب» متن سفينته، وانحدر في النيل ليتفقد أحوال المعابد المخربة والتمائيل المهشمة؛ فأعاد لها بهجتها، وزاد فيها عما كانت عليه، وحبس عليها الأوقاف، وحفظ لها أملاكها؛ مما جعل طائفة الكهنة تلهج بذكره وتمدح بعضيم أعماله، ويقيّمون له الصلوات في كل أمهات المدن على لسان الآلهة.

(١) حالة البلاد عند تولي حور محب

والواقع أن حالة البلاد عندما اعتلى العرش الملك «حور محب» كانت لا تبعث على الرضى. حقاً كان أخلاف «إخناتون» قد أخذوا في إعادة امتيازات «أمون» التي كان يتمتع بها من قبل، غير أن الأحوال في داخل البلاد وخارجها كانت غاية في الارتباك لا من الناحية الدينية وحسب، بل كذلك من الناحية السياسية، وبخاصة التطاحن على عرش الملك بعد موت «إخناتون». ولسنا مبالغين إذا قلنا إن ديانة «إخناتون» على الرغم من عدم حب

الشعب لها لبعدها عن تقاليدهم الموروثة كانت قد تأصلت في نفوس فئة عظيمة من المفكرين، وتركت أثرها في نواح كثيرة من حياة القوم؛ ولذلك نجد أن هذه الفئة مع عودتهم إلى ديانة الآباء القديمة فإنهم لم يفعلوا ذلك عن طيب خاطر، بل دفعهم إلى ذلك سيل التحول الجارف، فتمشوا مع الأحوال السياسية؛ إذ الواقع أن بعض أخلاف «إخناتون» كانوا يعتنقون ديانتته، وإن لم يكونوا من جنوده الظاهرين، وحتى «حور محب» نفسه لم يتحول بسرعة إلى ديانة «أمون»، وقد كان معبد «أتون» البغيض لم يزل قائماً جنباً لجنب مع معبد «أمون» في الكرنك فكان ذكرى أليمة لأتباعه.

ولما تولى «حور محب» مقاليد الأمور كان همه إعلاء شأن «أمون» وأثاره؛ ولذلك كانت بداية عهده تُعدُّ نهاية الأيام السود في عهد ديانة «أمون»، وفتاحة عهد جديد زاهر لها، فقد عاد «أمون» سيّداً «لطيبة» وملكاً على الآلهة في جميع الإمبراطورية المصرية، ثم أخذ «حور محب» يتبارى تدريجاً مع سلفه «أمنحتب الأول» في غيرته على مصلحة والده «أمون»؛ فنجد أنه قد قام بهدم مسلات «إخناتون» وإزالة المباني التي أُقيمت أمامها تلك المسلات، ثم عمل على ألا يبقى منها حجر واحد في مكانه؛ فهدمها، وأقام بأحجارها البوابتين التاسعة والعاشرية، كما جعل منها أساس مباني أحجار البوابة الثانية التي أقامها هو في «الكرنك» وإن كانت من أحجار هذا المعبد أيضاً وتُنسب إلى «رعمسيس الأول» خطأ (راجع Keith Seele. The Coregency of Ramses II, p. 11). ولقد بقيت أحجار معبد «إخناتون» محتجبة عن الأنظار إلى أن حدث زلزال عظيم في عام ٢٧ق.م فتصدعت مباني البوابتين، وظهر ما على أحجارها المغتصبة من نقوش تدل على أنها من مبنى للفرعون «إخناتون»، فنجد في كل مكان في الخرائب التي تحيط بهاتين البوابتين أو عند قواعد التماثيل الضخمة المهمشة الرءوس أكواماً من الأحجار المنتثرة من هذه المباني نقرأ عليها بقايا صلوات لقرص الشمس «أتون» ومناظر عبادة، وطغراءات للفرعون «إخناتون» و«أي» و«توت عنخ آمون»، وقد جمع بقايا هذه النقوش الأثري «نستور لا هوت» وكذلك «بريس دفن» وغيرهما مثل «لبسيوس» (راجع Nestor L'Hote Papiers Inedits Vol. III, p. 80, 96, 97, 101, 104, 105, in Presse D'avennes Monuments Pls. X, XI, & L. D. III, 110c-g, 119a-b; Keith Seele Coregency (p. 11).

وقد كان العمل الذي شرع فيه «حور محب» في «طيبة» بحماس وغيره وإخلاص يسير بنفس القوة وببنفس الحماسة في جميع أنحاء الوادي دون هوادة وبلا انقطاع، وهذا هو ما قصه علينا في لوحة تتويجه.

وفي استطاعتنا أن نفهم مقدار ما قام به من إصلاحات فعلية في عهده المفعم بالاضطرابات، مما نشاهده مدوناً من النقوش على صخور جبانة «طيبة»؛ إذ الواقع أن ما تنطوي عليه هذه المتون من معانٍ لا تكشف لنا عن سرقة القبور في ذلك العصر وحسب، بل كذلك تكشف لنا النقاب عن مدى الفوضى التي أعقبت الانقلاب الديني الذي قام به «إخناتون». ولقد كان من الطبيعي أن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن تحدث في طيبة إلا في مثل هذا الوقت، ومن ثم يمكننا أن نفهم الأحوال المضطربة التي خلص منها «حور محب» البلاد. فاستمع لما جاء في بعض هذه النقوش مما يدل على الاستهتار بالقانون وبالدين والأخلاق: «السنة الثامنة، الشهر الثالث من الفصل الأول، اليوم الأول في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «زسر خبرو رع-ستبنرع» بن رع «حور محب» محبوب «أمون»، أمر جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — بإرسال حامل المروحة على يمين الملك، وكاتب الفرعون، والمشرّف على الخزانة، ومدير الأعمال في المقر الأبدي (الجبانة) ومدير أعياد «أمون» في «الكرنك» «ميا» ابن القاضي «يوي» الذي وضعته السيدة «ورت» لأجل إصلاح مدفن الملك «منخبرو رع» المرحوم في البيت الفاخر (قبره) غربي «طيبة»» (راجع Br. A. R. III, § 31).

فإذا كانت مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة تُنتهك حرمتها على الرغم من شدة حراستها والقيام عليها في ذلك الوقت؛ فأَي فوضى تكون أبشع من هذه!

(١-١) إصلاح القوانين

وكذلك لم يكن عهد «حور محب» محصوراً في إصلاح المباني وإقامة أخرى جديدة لإرضاء كهنة «أمون»، بل كانت لديه مهمة شاقة أقضت مضجعه وشغلت باله؛ لأنها كانت تمس نظام الحكم ونزاهته، وحسن سيره؛ وذلك أن التراخي المشين، والتهاون المخزي، والتغاضي المقصود في ملاحظة الموظفين وما يرتكبونه من اختلاسات؛ كل ذلك كان من خصائص عهد «إخناتون» وأخلافه في داخل البلاد وخارجها؛ مما أضاع أملاكها في الخارج وأتسع أهلها في الداخل، يُضاف إلى ذلك أن رجال الجيش كانوا يعيشون في الأرض فساداً، وبخاصة أنهم كانوا منتشرين في طول البلاد وعرضها في تلك الفترة التي أصبح فيها لرجال الجيش السيطرة التامة على مرافق الحكومة ووظائفها كما شرحنا ذلك من قبل، وهذه الرذائل التي تكون دائماً عرضة للتفشي في وقت الانقلابات العظيمة كانت قد استفحل خطرهما، وامتد طغيانها إلى حد مشين في مصر وممتلكاتها.

فقد كان الموظفون المحليون والجنود الذين كانوا بعيدين عن أعين مفتشي الحكومة المركزية يتمتعون بحياة ناعمة بما ينتزعه من أفراد الشعب الذين كانوا يرزحون تحت عبء الظلم أمداً طويلاً حتى أصبح النظام المالي والإداري مفعماً بالرشوة والاختلاس من كل صنف، وعلى الجملة فالبلاد قبل عهد «حور محب» كانت متعطشة إلى العدالة، وكان الفساد ضارباً بأعراقه في نواحي الحياة المختلفة، ومظاهر الظلم والعسف كانت منتشرة في ربوع المملكة المصرية؛ ومن أجل ذلك كانت ألقاب العدالة من أبرز الألقاب التي تمدح بها جلالته في لوحته، ومن أجل ذلك أيضاً قضى ليله ونهاره في البحث عما كان صالحاً لأرض الكنانة؛ فتعقب الظلم والإثم، وقضى عليهما في مظانهما، وقطع دابر الكذب والرشوة، وكتب جلالته بيده دستور العدالة، وأشرف بنفسه على تنفيذه.

ولا بد أن «حور محب» كان قد وقف بنفسه على نواحي الخلل والفساد في الدولة وهو لا يزال موظفاً، فوضع لكل حالة قانوناً يكفل رد الأمور إلى نصابها الصحيح، ويعرّض من يحاول الخروج عليه لعقوبات مادية تناله في جسمه أو في ماله أو في كليهما ببطء من أعضائه، أو بالقضاء عليه فوق ذلك بالإبعاد والنفي، وردّ الرشوة المغتصبة.

ويظهر أن الطريقة التي كانت متبعة في جمع الضرائب هي أن يحمل كل مواطن ما فرض عليه من ضرائب في سفينته ويوصلها إلى الفرعون، ويظهر كذلك أن السفن كانت تتعرض كثيراً لأعمال السلب والنهب، وكان هذا لا يحرك ساكناً عند أولياء الأمور في الدولة المنحلة المتداعية قبل عهد «حور محب»، ولا يُعفى المسلوب من دفع الجزية، فجاء «حور محب» فعرّض المعتدي الأثيم لعقوبة تتمثل في جرد أنفه ونفيه إلى «سيلا» (تل أبو صيفه الحالية)، وعد المعتدى عليه معافى من دفع الجزية.

وإذا وجد الموظف مواطناً بدون سفينة يريد توريده ما فرض عليه من جزية، فإنه يجب على ذلك الموظف أن يحصل له على سفينة من أي مواطن آخر؛ لأن كل مواطن يجب عليه أن يخدم الفرعون مهما حدث.

ولا نستغرب على «حور محب» بعدما رأينا غيرته الدينية أن ينظر إلى أملاك المعابد والالتزامات التابعة لها نظرتة إلى شيء مقدس، وأنه كان يحيطها بسياج منيع من القدسية والجلال حتى جعل أي اعتداء على الضرائب التي تخصها اعتداءً على حق مقدس يُعد مرتكبه مجرمًا يُعاقب بنفس العقوبات السابقة.

ولم تكن قوانين «حور محب» مدنية فحسب تحدد علاقات بعض الوطنيين ببعض، بل كانت شاملة للقوانين الدستورية التي تحدد علاقة الفرد بالسلطة الحاكمة، وكان

أفراد الشعب كثيراً ما يتعرضون لحيف طبقة الموظفين الذين كانوا محميين بسلطانهم ونفوذهم — كما هي الحال في كل عصر — فجعل لكل موظف يخرج عن حدود سلطته أو يسيء استعمالها عقوبة تتناسب وجرمه؛ فأَيُّ موظف يحاول الاستيلاء على نبات «كث» بدون حق مشروع أو يستدعي لتنفيذ مآربه عبداً أو عبيداً بدون رغبة سيدهم، فإن هذا العمل من شأنه أن يعرِّض هذا الموظف للعقوبة.

وطالما وقع الأهلون فريسة لرجال الإدارة الذين كانوا يشرفون على الوجه القبلي والوجه البحري، فكانوا يسرقون منهم جلود قطعان الماشية التي كان مفروضاً عليهم أن يقدموها جزية لسيدهم الفرعون كل سنة عن قطعانهم المستأجرة من الدولة، فوضع «حور محب» لذلك قانوناً صارماً يتمثل في جلد المجرم مائة جلدة، وجرحه خمسة جروح دامية، ورد الجلد إلى صاحبه، أو إعفائه من توريده ما فرض عليه من جلود للخزانة. ولقد كان من مظاهر الظلم والعسف وتفشي الرشوة قبل عهد «حور محب» أن العمدة كانوا يفرضون الإتاوة على الأهلين ويجمعونها منهم ظلماً وعدواناً؛ فكان مثلاً كتاب مائة بيت الزوجة الملكية، وكتاب مائة الحريم الذين كانوا يقتفون أثر العمدة على استعداد للتفتيش السطحي والتغاضي عن كل اختلاس لقاء قرح من النبيذ يُقدم لكل منهم. وعلى مثل هذه الأحوال السيئة كانت تسير الأمور في البلاد، فكان العثور على المجرم والقضاء على الجريمة أمراً بعيد المنال؛ لأن منفذ الشر هو حامي القانون ومرتكب الجرم هو رجل الإدارة.

ولذلك نجد «حور محب» بعد أن سن قوانينه للضرب على أمثال هؤلاء المختلسين يقوم بنفسه برحلة تفتيشية للإشراف على تنفيذها بمناسبة عيد الأقصر الفاخر الذي كان يُقام كل عام، فيجوس في أثنائها خلال الديار، ويأمر باستئصال الشر في مكمته، وكان أمره مقضياً، ولقد نهج «حور محب» في طريقته هذه منهج سلفه «تحتمس الثالث»، الملك الجبار الذي اجتث هذه المساوئ من جذورها؛ فضرب على أيدي المجرمين من هذا الصنف، وكان يقوم بنفس هذه الرحلات التفتيشية في طول البلاد وعرضها للإشراف على تطبيق قوانينه وتنفيذها كما سلف ذكره. ولقد كان نظر «حور محب» ثاقباً؛ فقد نفذ إلى كل صغيرة وكبيرة في الدولة، كما يُؤخذ ذلك من النقوش التي تركها على لوحته، فها هو ذا يحيط خبراً بما كان يجري من غش واختلاس قبل عهده من رجال السلطة، فكثيراً ما استولى هؤلاء على نبات «سم» باسم دخل الفرعون، وكثيراً ما طففوا المكيال لأنفسهم وأخسروه لحق من حقوق الدولة نظير رشوة ينالونها، وكثيراً ما استولوا على

الكتان والخضر وباكورة المحاصيل؛ مما حرم الأهلين ثمرة جدھم وكدهم، فحرم «حور محب» كل ذلك ووضع القوانين الصارمة، وأشرف بنفسه على تنفيذها؛ فاستأصل بذرة الشر من جذورها.

ولم يكن سبيله الإرهاب والتخويف وتعذيب المجرم فحسب، بل كذلك كافأ الأمانة والشرفاء؛ فجمع بين الرغبة والرغبة، وأتاح لكل مخلص أمين سبيل الترقى والعلو، واختار طائفة عدھم من أمثال القوم، فأسند إليهم المناصب الخطيرة في الدولة، وزوّدھم بنصائح الغالية، وحذّرھم مما وقع فيه من قبلھم، فأمر ألا يقبلوا قعب نبيذ من أحد، وألا يتخذوا لهم أصدقاء؛ حتى لا يدفعهم الهوى إلى الميل والانحراف، وعلمھم طريق الحياة، وأرشدھم إلى كل ما هو عدل، وبسط لهم في الرزق؛ لعلمه أن كل تشريع يتناول الناحية الروحية فحسب من شأنه أن يعرض أحكام المشرع للمخالفة والامتهان، فكان كل واحد منهم يتسلم مرتبه بدون أي تأخير، كما رفع عنهم ما كان مفروضاً على مرتباتهم من ضرائب الذهب والفضة؛ ليمنعهم استصفاء أية ضريبة على السلع لأنفسهم.

ولتحقيق السعادة لسكان مصر وضمن تنفيذ قوانينه كما يريد أسس في كل البلاد مجالس قضائية تفصل في الخصومات بين الناس كأحدث التشريعات في العصر الحاضر، وأوصى القضاة أن تكون العدالة رائدھم، فلا يقبلوا رشوة من أحد، ولا يميزوا أحد المتخاصمين على الآخر، ومن يتعد هذه الحدود فعليه إثم نفسه وعقوبة جريمته. ولحرص «حور محب» على تحقيق العدالة وتنفيذها رغب في أن تكون علاقته برجال جيشه وضباطه ورجال إدارته علاقة ودّ وحب مباشرة؛ فكان يتصل بهم بنفسه ويدعوهم إلى مائدته التي ينفق عليها من أمواله الخاصة، فيأكلون ويشربون، وفوق ذلك ينقلبون إلى أھليهم حاملين الحقائق بهداياه الوفيرة، التي كان يوزعها عليهم بنفسه؛ فيناديهم بأسمائهم، ويلقيها عليهم من نافذة قصره؛ فلذلك كانت إدارة المليك شريعة الأمة، وجاءت إصلاحاته مطابقة للمحز مصيبة للمفصل.

ولسنا في حاجة بعد ذلك إلى تقرير أن «حور محب» قد تربع على عرش القلوب ونال محبة شعبه وتقديره، بل نقرر أنه ارتقى مكاناً علياً في تاريخ حكومة الإنسان لأخيه الإنسان، وبخاصة إذا علمنا أن المساوي التي كان يعالجها ويعمل على اقتلاعها من جذورها لم تزال مشاهدة في البلاد على الرغم من الإصلاحات السطحية التي يقوم بها بعض الذين يريدون القضاء على الأمراض المتأصلة، وهي لا يمكن أن تزول إلا بنهضة

قوية على يد فئة درست الإصلاح على وجهه الصحيح، كما فعل «حور محب» وأفلح فلاحًا عظيمًا هياً لأخلافه إعادة مجد الإمبراطورية الغابر بعد سقوطها في فترة الانقلاب الديني.

ولعل سائلًا يسأل عن السبب الحقيقي الذي جعل «حور محب» ينجح هذا النجاح المؤزر؟ سواء في سنّ قوانينه، أم في تطبيقها؛ والجواب عن ذلك لا يختلف باختلاف الأشخاص ولا يتغير بتغير العصور وتباين المجتمعات، فهو السبب نفسه الذي جعل قادة الشعوب الذين أفلحوا في بعث الحياة في أممهم التي كانت أشلاء متناثرة، وجسمًا هامدًا، وهو السبب عينه الذي جعل الأمة المصرية تلتف حول القادة والزعماء الذين نشئوا من بينهم، وتجعل اعتناق مبادئهم من الأمور المحببة إليهم.

ذلك أن «حور محب» نشأ من بين أبناء الشعب، وانصهر في بوتقته؛ فكان ملماً بكل رغباته وميوله، عالماً بكل ما كان يحيق به من عسف وظلم، فأحسن التعبير عن رغباته، والترجمة عما يتطلبه، ووقف بنفسه على العلل والأدواء، فكان دواؤه ناجعًا، وبلسمه شافيًا. والتاريخ يفيض بأمثلة كثيرة من هذا النوع من القادة، ويدلنا على أن ذلك هو السبب الحقيقي الذي من أجله نجح كثير من الزعماء والمفكرين، كما أن كثيرًا من الزعماء والملوك كان سبب إخفاقهم عدم استطاعتهم الترجمة عن رغبات الشعب وميوله، وما يصلح له من نظم وقوانين، وتخبطوا في تطبيقها لبعدهم بالفوارق الاجتماعية والمعيشية عن أفراد شعوبهم.

ويُعزى نجاح «تحتمس الثالث» ذلك الملك الفذ إلى أنه عاش بين الشعب وإن انحدر من أسرة ملكية؛ فلقد كانت نشأته بين رجال الدين في الدير والمعبد، وكان رجال الدين يدعون إلى الفضيلة وهم يدنسونها، ويحثون بالابتعاد عن المنكر وهم يقترفونه، فوقف بنفسه على زلاتهم وعثراتهم، ورأى عن كثب أحوال الشعب وما يجري في خلاله من مساوئ ورذائل، فأمكنه أن يفلح الفلاح كله في القضاء على أمراض كانت متأصلة، ويجتث رذائل كانت خبيثة، ولا يُستغرب هذا إذا علمنا بالإضافة إلى ما تقدم أنه رضع من ثدي امرأة شعبية، بل إن أمه نفسها كانت منحدره من أبناء الشعب، وقد تعلم جنبًا لجنب مع أبناء الشعب؛ وبذلك لم يكن هناك كبير فارق بينه وبين «حور محب»، غير أنه وُلد ملكًا متوجًا أما الآخر فسعى إلى تاج الملك حتى وضعه بيده على رأسه. وهاك ما تبقى لدينا من نصوص قوانين «حور محب» التي استخلصنا منها ما سبق على حسب أحدث الآراء، وسيجد القارئ أنها مهشمة لا تشفي غلة للقارئ العادي، ولعل

رجال القانون يمكنهم أن يستخلصوا منها شيئاً جديداً غير الذي قد نوّهنا عنه (راجع
Journal of Near Eastern Studies of Chicago (Jan–Oct) 1946 Vol. V, No. 4.
p. 260–270).

مقدمة: (فجوة أربعة أسطر ونصف) «حور محب» معطي الحياة مخلداً أبداً،
بداية الخلود حيث يتقبل (الملك) السرور، ومئات آلاف السنين، وملايين أعياد
ثلاثينية، وهو على عرش من في السماء (أي رع)، ومملكة «رع». وإليه يُنسب
عرش «حور» ... والبلاد تفيض بحبه، والعدالة قد عادت، وامتزجت معه
... والمصريون يفرحون، وأرض الكنانة تعيد شبابها، والأرض السوداء قلبها
في سرور وغبطة ... قد رأى، وعلى ذلك أتى ممثلاً بالفخار، وملأ الأرضين
بجماله؛ لأن الإله الطيب قد أنجبه رع ... بإقامة العدالة على الشاطئين، وإنه
يصبح في عيد عندما يكون جمالها (العدالة) قد أصبح ممجداً.
والواقع أن جلالته فكر في قلبه ... عن الطريقة التي يقضي بها على الإثم،
وينفي الكذب. وتدابير جلالته تُعدُّ مأوى ممتازاً؛ وذلك بكبح جماح العسف
أيضاً وُجد ... والظلم الذي كان منتشرًا بينهم. والواقع أن جلالته قد قضى
نهاره وليله في البحث عما كان صالحاً لأرض الكنانة، وكذلك في متابعة القيام
بالأعمال (المتأزّة) ... جلالته. فأخذ الدواة والقرطاس وكتب كل ما فاه به
جلالته.

وقد أصدر الملك نفسه الأوامر التالية:

... حالات الاضطهاد في البلاد.

الأنظمة التشريعية

(١) المواد التي سُنت لمنع التعدي على سفن النقل التي تُستخدم لتوريد الضرائب:
إذا صنع مواطن سفينة بمعداتنا ليستطيع بها خدمة الفرعون (له الحياة والسعادة
والصحة)، وَاغْتَصَبَتْ مِنْهُ هَذِهِ السَّفِينَةُ فَأَصْبَحَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى تَوْرِيدِ الْجِزْيَةِ، وَأَصْبَحَ
مَسْلُوبًا مَتَاعَهُ، وَمَحْرُومًا ثَمَرَةَ جُهُودِهِ الْعِدَّةِ (... فقد أمر جلالتي بِعَدِّهِ مَعَاْفًا) لحسن
مقاصده.

وإذا وُجد إنسان ما يرغب في توريد الجزية لمعامل الجعة، ومجازر الفرعون له الحياة والسعادة والصحة، من قبل ضابطين من ضباط الجيش ... وإن إنساناً يعمل له عراقيل، ويغتصب سفينة عضو من الجيش (أو) ملك أي شخص آخر من أهل البلاد قاطبة، فإن مثل هذا الشخص يُطبق عليه القانون؛ وذلك بجذع أنفه ونفيه إلى «سيلة» (تل أبو صيفة الحالي) ...

ومع ذلك إذا وجد موظف مواطناً بدون سفينة، فإن له الحق أن يحصل له على سفينة من آخر ليتمكن من توريد الجزية، ويرسل صاحب السفينة الأصلي لأجل أن يحمل الخشب إلى مكانه؛ لأن من واجبه أن يخدم الفرعون مهما حدث.

(٢) الإجراءات المتخذة للقيام بمساعدة أصحاب السفن الذين سُرقت حمولتها المرسلة للفرعون: (إذا وجد موظف مواطناً صاحب سفينة قد سلب متاعه، وأن حمولة هذه السفينة قد فرغت بالسرقة، وبذلك أصبح هذا المواطن مسلوباً متاعه ...) وأمسى لا يملك شيئاً، فنظرًا لأن هذا التقرير الدال على عمل فيه خسارة كبيرة ليس بالعمل الحسن؛ فإن جلالتي قد أمر بأن يُعد معافًا. انظر ...

(٣) الإجراءات المتخذة ضد الذين يعرقلون توريد الضرائب للحريم والقرب الإلهية: إذا أقام إنسان ما عقبات في سبيل أولئك الذين ... وسبيل أولئك الذين يقومون بالتوريدات للحريم، وكذلك لمائدة القربان الخاصة بقرب الآلهة المختلفين، في حين أنهم يدفعون الضرائب لضابطي الجيش، وأنهم ... فإن القانون يُطبق عليه بجذع أنفه ونفيه إلى «سيلة» أيضًا.

(٤) الإجراءات المتخذة لمنع الاستيلاء على نبات «كث» وكذلك لمنع تسخير عبيد الأفراد في هذا العمل: إذا قام موظفون من إدارة قربان الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) بطلبات رسمية للاستيلاء على نبات «كث»، وكذلك إذا استدعوا لهذا العمل عبيدًا يملكهم أفراد لمدة ستة أو سبعة أيام دون أن يكون لهم الحق في الذهاب أحرارًا، فهذا عمل مجحف، فيجب أن تتخذ معهم الإجراءات على حسب خطورة المسألة. أما في أي مكان (... حيث) يسمع الناس يقولون فيه: إنهم يستدعون الناس لأجل الاستيلاء على نبات كث، وكذلك حيث يأتي إنسان آخر معلناً: لقد استولى على عبيدي أو أمتي؛ فلا بد من تطبيق القانون ب ...

(٥) الإجراءات المتخذة لمنع اغتصاب جلود الحيوان من الفلاحين — مادة في صالح دافعي الضرائب: إذا استولت فرقتا الجيش المعسكرتان في الريف، وهما اللتان تقيم

واحدة منهما في الوجه البحري والأخرى في الوجه القبلي؛ على جلود الحيوان في كل البلاد دون أن يتركوها مدة سنة واحدة لأجل أن يتمتع بها الفلاحون ... ويأخذون من بينها المرسومة (أي المكوية)، في حين أنهم يذهبون من بيت لبيت طارقين أبوابها ومنتهجين السعف دون أن يتركوا جلودًا للفلاحين ...

وإذا جاء بعض ... من قبل الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) لعمل إحصاء ماشيته، وحققوا معهم (أي مع الفلاحين) ولكنهم لم يجدوا عندهم جلودًا، بل فوق ذلك يتضح لهم أن الدَّين ركبهم، وأنهم قد اكتسبوا ثقتهم (أي ثقة مديري حيوان الفرعون) فيقولون لهم: «لقد أخذت منا.»

ولما كان ذلك يُعد عملاً خطيرًا فلا بد من الفصل فيه على حسب فداحة العمل. إذا قام مدير حيوان الفرعون له الحياة والسعادة والصحة، لتسلم إحصاء الحيوان في كل أنحاء البلاد؛ لأنه هو الذي يقوم بجمع جلود الحيوان الميتة التي ... فإن جلالتي قد أمر أن يُعد الفلاح مُعفى بسبب حسن نيته.

أما فيما يخص أي جندي يُسمع عنه أنه قد ذهب للاستيلاء على جلود منذ تاريخ هذا اليوم، فلا بد من تطبيق القانون عليه، بجلده مائة جلدة ومسببة جروح دامية، والاستيلاء منه على الجلد الذي اغتصبه بوصفه مالاً مكتسباً من وجه غير مشروع.

(٦) الإجراءات المتخذة ضد ابتزاز الأموال وضد الرشوة في إدارة الدخل: أما عن نوع تلك الجريمة الأخرى التي تُعزى إلى ... كتاب مائدة بيت الزوجة الملكية، وكتاب مائدة الحريم الذين كانوا يقتفون أثر العمد ملحين عليهم وطالبيين إليهم إبريق خمر مما يُحمل في النيل شمالاً أو جنوباً، على حسب ما كان يُطلب قديمًا من العمد في عهد الفرعون «منخبر رع» «تحتمس الثالث».

أما من جهة ما كان يُحمل في النيل شمالاً أو جنوباً، وكان العمد يستولون عليه، فإنه على أثر وصول العمد في عهد «تحتمس الثالث» في كل سنة كانوا يفرضون الإتاوة على الأهلين في خلال رحلتهم، وكذلك كان يصل خدام الحريم عند العمد قائلين لهم: «فليقدم لنا إبريق من الخمر مقابل تفتيش سطحي»، ولكن تأمل! الآن ترى الفرعون — له الحياة والسعادة والصحة — يقوم برحلة تفتيشية بمناسبة عيد «أبت» (الأقصر) في كل عام دون إظهار أي إهمال، بل على العكس تُعمل الترتيبات قبل وصول الفرعون ... خدام الحريم ... بحيث يكون الاستعداد متقنًا. ولكن ما الذي حدث في هذه الإجراءات المستمرة لاستنزاف إبريق الخمر منهم؛ فلأجل ذلك كان العمد يصحبون الملك في رحلته،

وذلك لفائدة المواطنين ... ولما كانت هذه حالة خطيرة فإن جلالتي أمر بالأمر يُسمح بالعمل على هذه الصورة منذ هذا اليوم. أما من جهة ... الذين كانوا كذلك يستولون على سفينة تكون في الميناء، فإنه كانت تحرر محاضر ضدهم.

(٧) الإجراءات المتخذة لمنع الاستيلاء على نبات «سم» بغير حق: وكذلك فإن الذين سيستولون على نبات «سم» لأجل معامل الجعة ... المواطنين مغتصبين عشبهم «سم» يومياً قائلين: إنها مقابل دخل الفرعون ... وإنه لا فائدة للمواطنين الذين يستولون عليه في العمل الذي يقومون به — ولما كانت هذه حالة ضارة فإن جلالتي قد أمر ... وأن الموظفين الذين يستولون على أعشاب «سم» لأجل دخل الفرعون له الحياة والسعادة والصحة في حدائق الفرعون وضياعه له الحياة والسعادة والصحة ... الفرعون له الحياة والسعادة والصحة، التي تحتوي على أعشاب «سم»، فإذا سمع أنهم يستولون على متاع أي جندي أو أي شخص آخر في أي جزء ما من أجزاء البلاد ... فإن القانون سيُطبَق عليهم؟ لأنهم أناس قد تعدوا حدود التعليمات.

(٨) الإجراءات التي تُتخذ ضد الذين يستولون بدون حق على حيوان وخضر ... إلخ: أما ما يتعلق بحراس القردة الذين يستولون ... في الإقليم الجنوبي، وفي الإقليم الشمالي، ويستولون اغتصاباً على غلال أهالي القرى فارضين خمسين «هنا» على كل بيت، ومخسرين مكيال خزانة الغلال العامة (?)، وكذلك يستولون بدون حق على الكتان والخضر وباكورة المحاصيل ... وبما أن هذه حالة مضرّة فإن جلالتي قد أمر بمنع هذا العمل (?). ... والذين يسلبون من الضياع بغير حق، ويستولون قسراً على السفن، ثم يأتي أناس آخرون ... في الإقليم الجنوبي، والإقليم الشمالي، ويغتصبون بدون حق مكيال خمسين «هنا» عن كل بيت من المواطنين، أما أولئك الذين يكونون أمناء فإنهم سيُكافئون. أما المواطنون الذين ... من الخبز المورد لهم، فإن جلالته أمر بإعادته كله لمنع ... المواطنون ...

(٩) إجراء متخذ ضد نوع آخر من سوء التصرف: أما عن الحالة الأخرى الإجرامية التي يكون التقرير عنها سيئاً، فإذا كان أولئك الذين ... كل الضيعات التي هم فيها، وهم ... من الملك ... فإن مدير البلاد الأجنبية يقدم ذهب الملك ... إلى الذين هم ...

(١٠) الإجراءات المتخذة لمنع استغلال العبيد في العمل ظلماً: ... إذا ذهب رسل الحريم ليعطوا رسمياً الاستيلاء على عامل فقير مهما كان قد عُين لهم بالذات، فإن مع ذلك ... مع غسل (?)، وإذا سمع مراراً ... كل ... فإنها جرائم ... فإن رسل الحريم الذين

يذهبون ليستولوا في المكان ... سكان القرى (?) ... صيادو السمك، وصيادو الطيور ... يحملون ...

إجراءات إدارية

(١) مقدمة: ... لقد أصلحت هذه البلاد كلها ... وإني جيتها بعناية حتى الجنوب، وقد فحصتها ... قاطبة، وإني أعرف على وجه التأكيد ما في داخلها؛ لأنني قد زرتها أولاً من الداخل.

(٢) إعادة تنظيم المجالس: لقد بحثت عن أفراد ... ذوي حزم وأخلاق جميلة، يعرفون كيف يحكمون على الآراء، ومتيقظين لأقوال القصر، وإلى قواعد الإدارة، وقد عينتهم ليحكموا في أمور القطرين، وليرضوا سكانهما ... وقد نصبتهم في المدن الكبيرة في الجنوب وفي الشمال، وكان كل واحد منهم يتسلم مرتبه بدون أي تأخير، وقد وضعت لهم نصائح وقوانين في قائمة أعمالهم ... صادقة، وعلمتهم طريق الحياة؛ لأنني أرشدتهم إلى ما هو عدل. وقد أوصيتهم قائلاً: لا تتأخروا مع أناس آخرين، ولا تقبلوا قعب نبيد من آخر؛ لأنه لا يوجد ... إن ما الذي يظن الآخرون في أشخاص مثلكم مكلفين بالقيام مكان آخرين، مع ذلك إذا كان من بينكم من ينتهك حرمة العدالة؟ أما عن الضريبة من الفضة والذهب ... فإن جلالتي قد أمر بإعفائكم منها؛ لأجل أن يُمنع جباية أية ضريبة على أية سلعة بوساطة مجالس «قنبت» الجنوبية أو الشمالية.

أما أي حاكم أو أي كاهن يُشاع عنه أنه جلس ليحكم بالعدل في المجلس «قنبت» الذي أُسس للحكم ومع هذا وتعدى فيه العدل فإنه يُتهم من أجل ذلك بجريمة كبرى؛ لأن جلالتي قد أَلَّف هذا (المجلس) لأجل إعادة توطيد مصر، ولأجل منع حدوث ... آخر ... من المجلس (قنبت). وكهنة المعبد (خدام الإله) وموظفو مقر الحكم في هذه البلاد، وكذلك الكهنة المطهرون، الخاصون بالآلهة، فهم الذين يتألف منهم كل مجلس (قنبت)، فهم الذين سيفصلون في قضايا مواطني كل مدينة.

وإن جلالتي قد أجهد نفسه من أجل مصر لتكون حياة سكانها سعيدة؛ لأنه يظهر كل يوم على عرش «رع». تأمل فإنه قد أُسس مجالس قضائية في البلاد كلها ليحكموا بين الناس، وليعقدوا جلسات في المدن على حسب الخطط الممتازة التي وضعها جلالتي. (٣) علاقة الفرعون بضباط جيشه: ... كلية. لقد وضعت هذا النظام؛ لأن جلالتي يرغب في حماية كل الناس، وكانوا يجتمعون حول جلالتي ثلاث مرات شهرياً، وكان هذا

عيداً لهم؛ إذ إن كل فرد منهم يجلس ومعه جرابته من كل شيء لذيذ، تشمل خبزاً طيباً ولحماً وفطائر من ممتلكات الفرعون ... وأصواتهم تصل إلى عنان السماء معظمين كرم سيد الأرضين.

وقد كان كل واحد من رؤساء الجيش، وكل ضباط المشاة يُكافأ كما كانت الحال من قبل. وقد كان الفرعون نفسه يلقي عليهم الهدايا من النافذة منادياً كل واحد منهم باسمه، وكانوا يمرون أمامه مهللين، وكانوا يتسلمون الهدايا التي تُصرف من ممتلكات القصر الملكي. والواقع أنهم كانوا يحملون معهم مؤناً من المخازن. فكان كل منهم ينصرف ومعه الشعير والشوفان دون أن يوجد واحد من بينهم لم يتسلم نصيبه ... لأجل أن يعمل له الباقي ... مدنهم، دون أن يُعطوا وقت فراغ مدة هذه الأيام الثلاثة ليتمتعوا بالراحة.

ورجال «ختخت» (طائفة من الناس) يسعون وراءهم إلى المكان الذي يكونون فيه، وكل ما يجدونه هناك هو ملك سيدهم أبداً ... الرغبة ... في إدارة سيد الأرضين ... (٤) إعادة تأسيس بعض احتفالات البلاط التي كانت قائمة قبل عهد العمارنة: ... حاملو النعال، وكانوا يسيرون في قاعة الإدارة الواسعة ذهاباً وإياباً من أبوابها ... وأتى الشريف. ويدخلون من باب القصر بسرعة بالعربة ناهبين نحو الباب الفاخر، وفي ركابهم كلب سلوقي ... قاعة العرش لابسين ... ومنتعلين أحذية وعصا في هيئة التي في قبضته مثل ... إلى مكانهم، كما كانت الحال قديماً، وقد حددت التغييرات الخاصة بالقصر العظيم الخاص، ونظام بيت الأمراء، ومنحت بيتاً لتموين (الإله) ... وحجاب قاعة العرش على حسب منهاجهم و... فحمت في كل البيت. ورجال بلاط الملك في مكانهم، وأعضاء مجلس الثلاثين يتبعون النظام ...

الخاتمة: وإذا مُد في أجلي على الأرض لأنني أقوم ببناء آثار لآلهة ... فإنني سأجدد ولادتي مثل القمر ... منضماً إلى الحياة والخلود والسعادة.

وقد شع جسمه على أقاصي البلاد مثل قرص «رع»، وقد أضاء جسمه مثل ضوء «رع» عندما يظهر في فصل الفيضان، وجماله قد أصبح غاية في البهاء، وقوته صارت في قلوب الناس.

ليتمك ترعون هذه المراسيم التي جدها جلالتي لإعادة تنظيم البلاد كلها بعد أن فكر جلالتي في أعمال العسف التي كانت تُرتكب في هذه البلاد ... (راجع Chronique (D'Egypte No. 44. (Juillet 1947) p. 230ff

وتدل صور «حور محب» التي عُثِرَ عليها حتى الآن على أنه كان رجلاً صاحب خلق عظيم جمع بين النشاط والشدة ولين الجانب، وأجمل هذه الصور قطعة من الجرانيت حُفِظَت لنا عليها صورة محياه، والواقع أن الناظر إليها لا يجد فيها شيئاً من الجاذبية أو ما ترتاح إليه العين، فالوجه كان لم يزل يعبر عن نضرة الشباب، غير أنه كان يشتم منه ريح الكآبة، وهو تعبير قلَّ أن نجده على وجوه الفراعنة الذين عاشوا في أزهى عهود مصر، ويلاحظ أن أنفه الرفيع المستقيم قد ركب في صورته بإتقان، وعينيه المستطيلتين لهما جفنان ثقيلان، وشفتيه الغليظتين المنقبضتين بعض الشيء عند طرفي الفم قد سُويتا بصورة مرهفة ينبعث منهما نشاط فذ، كما أن ذقنه المتماسك المحكم الصنع قد فقد بعض شكله باللحية المستعارة التي رُكبت فيه، وفي الحق نجد أن كل تفصيل في أجزاء وجهه قد عالجه المقتن بدرجة عظيمة من الحرية، حتى ليخيل للإنسان أن المثال كان ينحت تمثاله في مادة لينة، لا في حجر تكاد تقاوم صلابته آلة النحات، غير أن السيطرة التامة قد أظهرها المثال على هذا الحجر بما نشاهده من نتيجة ممتازة جعلت الإنسان ينسى صعوبة العمل فيه، وما لاقاه المقتن من مشقة مضمية في إخراجه.

على أن ملامح وجه «حور محب» الحاملة لم تعفه على أية حال من إظهار نشاطه الفذ في خارج مصر كما أظهره في داخلها؛ إذ على الرغم من أن مصر لم تنزل قط عن حقها في السيطرة على كل وادي النيل حتى «الشلال الرابع»، فإنها منذ عهد «أمنحتب الثالث» على ما يظهر لم يَسِرْ أي فرعون بشخصه على رأس حملة إلى قبائل أعالي النيل. وقد كان «حور محب» يرغب في إحياء تلك العادة التي كادت تكون مفروضة على الفراعنة عند توليتهم العرش، وهي القيام بحملة إلى بلاد «كوش». ولذلك انتهز فرصة خروج بعض القبائل هناك وسار على رأس جيش إلى هذه الأصقاع كما ذكرنا من قبل. وكان قد أمر في هذه الفترة بإقامة البوابتين الجنوبيتين في معبد الكرنك؛ ولذلك كانت أعمال قطع الأحجار سائرة على قدم وساق في محاجر «سلسلة». وكذلك كان قد أصدر أوامره بنحت مقصورة ضخمة تذكارية في هذه المحاجر في صخور الحجر الرملي، وهي التي أهداها لوالده «آمون رع»، وإلى الإلهين المحليين «حابي» و«سبك» رب «أمبوس». وهذه المقصورة أو الكهف قد حُفِرَ إلى عمق بعيد في جانب التل، وقد حُلِيت حجراته الداخلية المظلمة بمناظر العبادة العادية، غير أن المدخل المقبب الذي يؤدي إلى هذه الحجرات قد رُسم على جداره الغربي انتصارات هذا الفرعون على هذه الأصقاع، فنشاهد في هذا المنظر صورته وهو يتقبل من «آمون رع» رمز حياة سعيدة طويلة، وصورة

أخرى له وهو يفوق سهامه على جم غفير من الأعداء الفارّين، وكذلك نشاهد السودانيين رافعين رءوسهم إليه متضرعين، كما نشاهد جنودًا يمشون ومعهم الأسرى. ويُلحظ فوق أحد الأبواب اثنا عشر قائدًا سائرين، وهم حاملون الفرعون على محفة في حين نشاهد جماعة من الكهنة والأشراف يحيونه ويطلقون له البخور (راجع Br. A. R. III, § 40; L. D. III, 211a-b).

(٢-١) الحملة إلى بنت

وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة نعلم أن السفن المصرية كانت تمخر عباب البحر، والظاهر أنه في عهد «حور محب» أخذت مصر تعيد علاقاتها مع بلاد «بنت» بعد أن استقر فيها الأمن وسادها السلام؛ إذ نشاهد منظرًا ممثلًا على الجدار الذي يوصل بين البوابتين اللتين أقامهما «حور محب» في معبد الكرنك، ظهر فيه الملك على اليمين عاقدًا مجلسًا ويستقبل رؤساء بلاد «بنت»، وهم يقتربون منه من جهة الشمال يحملون حقائب مفعمة بالتمر وريش النعام ... إلخ، وقد نُقش فوقهم المتن التالي:

خطاب رؤساء «بنت» العظام

السلام عليك يا ملك مصر، يا شمس الأقواس التسعة، بحياة حضرتك إنا لا نعرف مصر، وإن آباءنا لم تطأ أقدامهم أرضها فأعطنا النفس الذي تمنحه، وإن كل الأراضي تحت قدميك. (راجع Mariette Monuments divers 88; Brugsch Recueil de Monuments II, 57, 3. — Brugsch Recueil XVII, 43). وفي منظر آخر^١ نشاهد «حور محب» يقدم محاصيل بلاد «بنت» التي استولى عليها حديثًا للإله «أمون»، كما يدل على ذلك النقش التالي: «إحضار الجزية (الهدية) بوساطة جلالته لوالده «أمون» وهي جزية بلاد «بنت» ... بقوتك المظفرة وإنك قد صيرت رؤساءهم في خوف بسبب الفرع منك ... حاملين كل جزيتهم على ظهورهم، وإن قوتك لعظيمة في كل أرض.»

ولا غرابة في أن نرى «حور محب» يرسل مثل هذه الحملات التي كانت على ما يظهر سلمية إلى بلاد «بنت»، كما أرسل أخرى إلى بلاد «كوش» لإخضاع الثوار وجعلهم

^١ راجع: L. D. III, 121a-b.

يدفعون ما عليهم من جزية؛ إذ لو فحصنا السبب الحقيقي لوجدنا أن الدافع لها كان الإله «آمون»؛ لأن هذا الإله قد قُضي عليه بالإهمال والترك في زوايا النسيان نحو ربع قرن من الزمان، وكان بعد أن استرد سلطانه في حاجة إلى الذهب والفضة لتُملاً بهما خزائنه في هذا الوقت أكثر من أي وقت آخر مضى، فقد كان في حاجة إلى بنائين لإقامة مبانيه، وعبيد وماشية لمزارعه، وعطور وبخور لإقامة شعائره اليومية؛ ولذلك نجده حفز «حور محب» ليقوم بحملاته إلى تلك البلاد التي ترد منها تلك الخيرات مما جعله يولي وجهه نحو الجنوب كما ذكرنا، وقد عاد منه بالأموال الوفيرة والخيرات العظيمة.

(٣-١) حروبه في آسيا

أما حروبه في الشمال (آسيا) فليس لدينا إلا قائمة أسماء منقوشة على الجانب الشمالي من بوابة الكرنك الحادية عشرة (راجع Champ. Notices Desc. II, 178; Br. A. R. III, §§ 34-36). ولم يبقَ منها إلا اثنا عشر اسمًا محفوظة نقرأ من بينها «خيتا»، وإلا نقش نشاهد فيه «حور محب» يقود بيده ثلاثة صفوف من الأسرى مقدمًا إياهم للآلهة «آمون» و«موت» و«خنسو» وهم ثالث «طيبة»، وملابس الأسرى وسجنهم تدل على أنهم آسيويون. والنقوش التي على الصف الأوسط هي: أمراء حينبوت (جزر البحر الأبيض المتوسط) الخاسئون يقولون: «مرحبًا بك! إن اسمك قد أحاط بطرفي الأرضين بين كل الأرضين، وكل أرض تخاف بسبب بعد صيتك، ورهبتك في قلوبهم». أما الصف الأسفل فكتب فوقه: «الأمراء الخاسئون من ... يقولون مرحبًا بك مثل العظيم — والخوف قد دبَّ في أجسامهم والرعب في قلوبهم».

والواقع أنه ليس في استطاعتنا أن نحكم مما جاء في هذه النقوش عما إذا كانت قد قامت حروب فعلية بين «حور محب» وبلاد «خيتا»، أم لا؛ إذ لم تصلنا حتى الآن نقوش مباشرة عن هذه الحرب لا في النقوش المصرية ولا في النقوش الخيتية، ويقول الأستاذ «إدوراد مير» في هذا الصدد: إن الفصل في هذا الموضوع يتوقف على الحكم فيما إذا كان «خاتوسيل» ملك «خيتا» عند إبرام معاهدته مع «رعمسيس الثاني»، وهي التي أشار فيها إلى: «المعاهدة القديمة التي أبرمت في عهد «شوبيلوليوما» وعهد والدي «مواتال»، أنه قد استعمل لفظة «والد» بدلًا من لفظة «أخ» في هذا النص، وحينئذ يكون التعبير الصحيح «وبين والدي مورسيل»، وإذا كان الوضع الأخير هو الصحيح فإن المعاهدة تكون قد أبرمت إذن بين «مورسيل» وبين «حور محب»؛ وبذلك تكون قد نشبت بينهما

حرب (راجع Ed. Meyer Gesch II, 1. p. 412). وعلى أية حال فإن ظواهر الأمور لا تدل على قيام حروب كبيرة بين «حور محب» عندما تولى الملك؛ لأن الأحوال لم تكن في الواقع مهيأة له لإعلان حرب على مملكة «خيتا» التي كانت وقتئذٍ عظيمة السلطان. حقاً كانت مصر ذات ثروة عظيمة في عهد «أمنحتب الثالث»، ولكن الحروب الخارجية والانقلابات الداخلية التي هزت أركانها في عهد «إخناتون» وأخلافه الضعفاء لم تُغْرِ «حور محب» على القيام بحملات ضخمة على أمة كانت واسعة السلطان عظيمة القوة؛ ولذلك فطن أن الوقت لم يَجُنْ بعدُ لمثل هذه المشروعات الحربية الخطيرة، بل وجَّه همه للإصلاحات الداخلية التي وضعته في مصاف عظماء رجال الإنسانية الحقة، وميزته عن عظماء ملوك مصر الذين امتازوا بعلو الكعب في كبح جماح الظلم والعسف والرشوة التي كانت تئن تحت عبئها البلاد، وترزح تحت أثقالها في عصور التاريخ كلها وبخاصة مدة فترة الانحلال الخلفي العظيم الذي طغى على البلاد من أقصاها لأقصاها، وهو العصر الذي تلا وفاة «أمنحتب الثالث» حتى عهد «حور محب»، وقد كان هذا الانحلال يتمثل في طبقة الموظفين ورجال البلاط فقضى عليه جملة كما فصلنا القول في ذلك.

(٢) أهم الآثار التي خلفها «حور محب» قبل تويي الملك

(١) وُجد له تمثالٌ في معبد «آمون» «بالكرنك»، وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري (راجع سجل المتحف رقم ٤٢١٢٩).

(٢) تمثال من معبد «تحوت» في «منف» (راجع J. E. A. Vol. 10. p. 1-5; B. M. M. (Part. II, October (1923) pff).

(٣) وقد أقام «حور محب» لنفسه مقبرة فخمة في «سقارة» تُعدُّ من الطراز الأول في النقش، ويظهر فيها فن عصر العمارة بصورة واضحة. ومما يؤسف له أن هذه المقبرة قد مزق شملها المخربون؛ ولذلك توجد أجزاءها في مختلف متاحف العالم وهي:

متحف ليدن: وتوجد فيه قطعة (راجع Leiden Boeser Beschiv IV, Pl. (XXIII-XXIVb).

متحف «فيينا»: وفيه قطعة باسم هذا الفرعون (Breasted. A. Z, 38. p. 47).

متحف «برلين»: يوجد فيه كتلة (Berichte Aus Berl Mus. 49. Heft 2. p. 34).

متحف «بولونيا»: وُجد فيه قطع كذلك من جدران هذا القبر عليها مناظر مختلفة (راجع Capart J. E. A, 7. p. 31; & Von Bissing Denkmaler

p. 130-1., & Gauth.L.R. II, (راجع باب (p. 383).

المتحف المصري: يوجد فيه عارضتا باب وعمود كان في قبره من سقارة (راجع (De Rougé Insc. Hierog p. 107-8. & Gauth. Ibid

متحف «اللوفر»: يُوجد فيه عارضتا باب وواجهة، كما يوجد فيه قطعة من جدار (راجع Wiedemann. P. S. B. A, II, p. 424).

متحف الإسكندرية: كانت فيه قطعة من هذا القبر، غير أنها قد اختفت (راجع (Wiedemann. P. S. B. A, II, p. 424).

متحف «ليننجراد»: يوجد فيه لوحة (راجع (A, Z. 72, p. 311ff).

وخلافًا لذلك نجده قد مُثِّل في نقوش قبر كاهن أعظم في «منف»، وهذا النقش موجود الآن في برلين (راجع Spiegelberg A. Z. 60. p. 56)، كما نجده ممثلًا على الجدار الشرقي من حجرة دفن الملك «توت عنخ آمون»، غير أنه لم يُذكر بالاسم، بل تدل شواهد الأحوال على أنه «حور محب» كما ذكرنا من قبل.

(٣) آثار حور محب الملك

الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن آثار الفرعون «حور محب» في أثناء توليه عرش الملك غير ما ذكرنا. ففي السنة الأولى من حكمه وصلت إلينا وثيقة عرفنا منها حسن مقاصده بالنسبة لعبادة الإله «بتاح» (راجع Mariette Karnak, 47d. in Mariette Karnak (Plan G).

وفي السنة الثالثة من عهده أقام «نفر حتب» مدير أملاك الفرعون مقبرته. أما حروبه التي شنها على أهل الجنوب في السودان وحروبه مع أقوام «حايونبوت» في الشمال (سكان جزر البحر الأبيض) فلا نعلم على وجه التأكيد موعد حدوثها بعد توليه العرش أو قبله، ومن المحتمل أنها تُعزى إلى الجزء الأول من حياته كما سبق الكلام عن ذلك. أما التواريخ التي تدل على طول مدة حكمه منفردًا، فقد عثرنا منها حتى الآن

على «استراكون» مؤرخة بالسنة السابعة من حكمه، وقد كُتِبَ عليها تظلم رجل يُدعى «حاي» يشكو فيه من أن قبر والده كان قد منحه في السنة السابعة من حكم «حور محب»، وأنه الآن في السنة الواحدة والعشرين (لم يذكر اسم الملك) ولم يتسلم بعد وثيقة الملكية. على أنه ليس لدينا برهان على أن السنة الواحدة والعشرين تعود إلى حكم الملك «سيتي الأول». غير أنه من الجائز أن «حور محب» بعد أن ألغى عبادة «أتون» أُرِّخَ حكمه بوصفه ملكًا منذ توليه قيادة الجيش.

وعلى الرغم من أن عبادة «أتون» قد أُقصيت من مكانتها الممتازة في عهد «توت عنخ آمون» إلا أنها لم تكن قد مُحِيتَ تمامًا من البلاد؛ يدل على ذلك حفر اسم «حور محب» على معبد «أتون» في «تل العمارنة» (Petrie. Amarna XI, 5.)، وكذلك وجود التعبير «إن جسم «رع» هو «أتون»» حتى السنة الثالثة من حكم هذا الملك (راجع Miss. Arch. (Franç. Caire, V, p. 499).

ولكن لم يلبث «حور محب» أن محا كل أثر من هذا النوع حتى أسس مباني «إخناتون» في «طيبة» كما استعمل أحجارها، وكذلك أحجار مباني «توت عنخ آمون» والملك «آي» في إقامة بواباته بالكرنك.

(٤) وفاته

وقد قضى «حور محب» في سن متقدمة، وشيخوخة موقرة، ودُفِنَ بقبره في «طيبة»، والواقع أنه أقام لنفسه ثلاث مقابر؛ الأولى في «تل العمارنة» (وإن كان ذلك فيه شك)، ولكنه لم يتقدم في بنائها كثيرًا، والثانية في «منف»، وكانت من بدائع ما أخرجته يد كل من المهندس والمفتن المصري، وتصور لنا حياته الحكومية وكيف مهد السبيل إلى اعتلاء عرش الملك، والقبر الثالث في «أبواب الملوك» على الضفة الغربية من النيل، وهو مزين بالرسوم التقليدية والمتون الدينية الخاصة بالعالم السفلي بوصفه ملكًا، وفي الحجرة الداخلية من هذا القبر نجد تابوته المصنوع من الجرانيت الأحمر لم يزل موجودًا في مكانه الأصلي، وقد حُلِيت جوانبه بصورة أربعة الآلهة الحامية للمتوفى، كما كانت العادة في تزيين مثل هذه التوابيت، ويلاحظ أنها كانت ناشرة أجنحتها على الأركان الأربعة للتابوت.

أما صندوقه الخشبي فقد نُهب ولم يُعثَر فيه على شيء قط، كما أن مومية هذا الفرعون قد اختفت، ولا نعرف عنها شيئًا قط.

ولا نزاع في أن «حور محب» قد وضع أمامنا صفتين في التاريخ يكاد يمتاز بهما عن كل ملوك مصر؛ ففي قبره في «منف» صفحة عن الرجل الموظف وحياته، ولما اعتلى الملك طوى هذه الصحيفة ونشر أمامنا أخرى تمثله وهو ملك، ولم يُجَارِه في هذا المضمار إلا الملك «أي» سلفه؛ ومن ثم نستطيع أن نقول بحق إنهما هما الرجلان اللذان مهدا السبيل إلى استعادة مجد مصر بعد أن ضيعه «إخناتون» في عهد إصلاحه الديني. ويُعد «حور محب» في نظر المصريين وفي نظر التاريخ عامة ملكاً شرعياً نشأ من لا شيء، ومات ملكاً متوجاً، وحقق لبلاده ما لم يحققه ملك من الذين نشئوا من دم ملكي، ولم يترك للعرش وارثاً، ولذلك كان هذا الروح الفريد، والعقل الفذ الذي حرك سكان الحكم في مصر بروية وحزم في الطريق القويمه ثانية، بعد أن ضلت السبيل فترة من الزمن؛ نعمة عظمي لمصر، والرجل المثالي الذي شيد للعدالة صرحاً لا نزال نترسم خطاه.

(٥) آثاره بعد توليه العرش

أما آثاره التي تركها لنا بعد توليه العرش فهي قليلة بالنسبة للملوك الآخرين، وربما يُعزى ذلك لأن حكمه الحقيقي لم يَدُم طويلاً، ومع ذلك فإننا نجدها منتشرة في طول البلاد وعرضها، وسنذكرها على حسب الترتيب الجغرافي بقدر المستطاع.

(٥-١) منف (مدافن العجل أبيس)

في عهد «حور محب» دُفن العجل الثالث والعجل الرابع، وقد دُفِنَا في قبر مزدوج. ففي الحجرة الأولى دُفن العجل أبيس الثالث، وقد زُينت جدرانها بالآلهة، وبصورة العجل أبيس نفسه (راجع 3 Mariette Serapeum Pl.)، وفي الحجرة الثانية دُفن العجل الرابع، ووجد معه أواني الأحشاء، وهي في «متحف اللوفر» الآن (راجع Porter & Moss III, p. 205).

(٥-٢) قرية بوسير

وُجدت قطع مختلفة تحمل طغراء «حور محب» (راجع L. D. Text. I, p. 139)، وفي معبد «بتاح» «بمنف» وُجد له تمثال وهو الآن بمتحف «مترو بوليتان» «بنيويورك»

(راجع 1-5، J. E. A. X, Pls. 1-IV, p. 1-5). وكذلك وُجِدَت قطعة من الحجر الجيري في «منف» عليها طغراء «أمنحبت الرابع» و«حور محب» (راجع Porter & Moss. Ibid p. 224). وُجِدَ تاج عمود في ضرب الجماميز، ويُحتمل أنه جيء به من «منف» (راجع Wiedemann Gesch. p. 409).

(٣-٥) غراب

وفي قرية «غراب» وُجِدَت له خواتم عدة باسمه (Petrie Kahun XXIII, & Petrie Illahun XXIII).

(٤-٥) وفي «القاهرة»

جزء من لوحة كبيرة للفرعون «حور محب» يُحتمل أنها من «هليوبوليس» وقد استعملت أسكفة (راجع 4-103، A. S., IV, p. 103)، وكذلك وُجِدَت زاوية باب من الحجر الرملي عليها طغراء «حور محب» (راجع 103، A. S., IV, p. 103)، وقد عُثِرَ عليها قبالة جامع السلحدار.

(٥-٥) العرابة

وبالقرب من معبد «سيتي الأول» عُثِرَ على مجموعتين من التماثيل باسم هذا الفرعون: واحدة منهما من الحجر الجيري الأبيض، والثانية من الجرانيت تمثل كل منهما «حور محب» ومعه «أوزير» و«إزييس» و«حور» وهما بالمتحف المصري الآن (راجع الدليل: (A Brief Desc of Monuments (1932) p. 85).

(٦-٥) «طيبة» في «الكرك»

أقام هذا الفرعون ثلاث بوابات كما ذكرنا آنفًا في معبد الكرك، وكانت تمتد أمام البوابتين التاسعة والعاشر طريق كباش تشمل ثمانية وعشرين ومائة تمثال في هيئة «بولهول» برأس كبش، وقد وُصِفَت بأنها أجمل شيء من نوعه حتى الآن في «طيبة» (Champ Notices Desc. II, p. 172)، هذا إلى أنه أقام جدارًا من الجرانيت بين البوابة الخامسة والمحراب الجرانيتي بالكرك أيضًا (راجع Ibid p. 139).

(٧-٥) وفي معبد «الأقصر»

وضع «حور محب» اسمه على عمد «أمنحبت الثالث» الكبرى الموجودة في قاعة العمدة التي بمعبده (راجع Baedeker p. 129. (1929)، وكذلك نقش «حور محب» على كل الجدار الغربي من معبد الأقصر مناظر عودته إلى الأقصر من «منف».

(٨-٥) وفي معبد بتاح

ترك لنا بعض نقوش باسمه (راجع Mariette Karnak, 74d)، كما وُجدت له لوحة في معبد الكرنك أيضًا (A. Z. XXVI, p. 70). وفي الكرنك وُجد «لحور محب» تمثال صغير من الخشب المتحجر (Legrains; Statues No. 42095). وتمثال آخر في نفس المعبد في صورة «بولهول» (Legrains ibid 42096)، وعُثر على قطعتين من مسلة صغيرة باسم «حور محب» (راجع Legrains, Repertoire No. 321). ولوحة له أيضًا (راجع A. S. IV, 9-10).

(٩-٥) وفي معبد آمون

وُجدت له لوحة لا تزال في مكانها (راجع Legrains ibid p. 107-14)، ومتمن مؤرخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون، ولم يبقَ منه إلا ثلاثة أسطر (راجع Brugsch Thesaurus 1223-4)، وقطعة حجر في معبد «خنسو» وعليها اسم «حور محب» (Champ. Notices p. 217)، وكذلك نجد أن «بينوزم» قد نقش مناظر له كانت في الأصل لحور محب (راجع Ibid. p. 221).

(١٠-٥) وفي «طيبة الغربية»

ترك لنا نقوشًا في الدير البحري ادعى فيها أنه أصلح آثار والد آبائه «تحتمس الثالث»، ولا يبعد أن تكون إعادة حفر المناظر التي محاها «تحتمس الثالث» من عمل «حور محب» كما يقول «بتري»؛ لأن تحمسه لعبادة «آمون» قد يكون السبب الذي دعا لذلك. وكذلك أصلح بعض مناظر «بنت» (راجع Petrie History of Egypt II, p. 254; Champ. Notices I, p. 574).

(١١-٥) وفي مدينة «هابو»

ترك لنا نقوشًا ادعى فيها أنه قام بإصلاحات في المعبد الصغير، وهذه النقوش توجد على كلا جانبي المدخل الرئيسي في النهاية الشمالية من الردهة (راجع L. D. III, p. 202d).

(١٢-٥) وفي متحف «برلين» (Berlin Mus. No. 1497.)

جزء من تمثال لإله النيل، وكذلك أجزاء من متن من تمثال ضخم للفرعون «حور محب» (راجع L. D., III, 112c, d, e & Text III, pp. 147).

(١٣-٥) أرمنت

وفي مدفن العجول بجهة «أرمنت» عُثِر على قطع من الحجر الرملي عليها متون باسم «حور محب» و«أتون» وهذه القطع مبنية في الجدار (راجع Porter & Moss, V, p. 159).

(١٤-٥) كوم أمبو

وفي «كوم أمبو» وُجِدَت قطعة مستعملة في بناء المعبد الرئيسي من عهد البطالمة، وعليها طغراء «حور محب» (راجع Procktesch Van Osten Nil fahrt p. 479).

(١٥-٥) أسوان

وفي إحدى مقابر أسوان المنحوتة في الصخر وُجِدَ في حجرة الدفن مع أشياء أخرى خاتم باسم «حور محب» (راجع A. S., VI, p. 282).

(١٦-٥) كوبان

وعُثِر له في «كوبان» على تمثال برأس أسد (Murray Guide to Egypt Ed. 1889) (p. 538).

(١٧-٥) جبل عدة

وفي جبل عدة حفر «حور محب» لنفسه محراباً فخماً، ويُلاحظ أنه لم يرسم مناظر حربية كعادة الملوك الفاتحين بالنسبة لبلاد النوبة، وهذا مما يحمل على الظن أن «حور محب» لم يقيم بأعمال حربية في آخر أيامه، بل كانت حروبه كلها في الجزء الأول من حياته (L. D. III, 122 a-f & Plan Champ. Notices Desc. II, p. 5).

(١٨-٥) تماثيل الفرعون «حور محب»

ولدينا من تماثيل هذا الفرعون أمثلة تدعو للإعجاب في دقة الصنع وبراعة الفن في تفصيل أجزاء الجسم وتمثيلها للواقع:

(١) ومن أهم ما لدينا الجزء الأعلى من تمثال ضخم عُثر عليه في مدينة «هابو» وهو الآن في «متحف برلين» (راجع L. D. III, 112c). وقد تكلمنا عنه فيما سبق.
(٢) مجموعة تماثيل من الحجر الجيري الأبيض مُثل فيها الملك والإله «أمون» وهي الآن بمتحف «تورين».

(٣) تمثال ضخم في فندق الأقصر (Wiedemann Gesch p. 411).

(٤) تمثال نصفي من البازلت الأحمر (?) في متحف «فلورنس» الآن، ولا بد أنه جزء من تمثال راكم (Schiaparelli. Cat. Florence 1225).

(٥) تمثال للفرعون بوصفه «حابي» إله النيل (Budge Guide Sculp. 125).

(٦) مجموعة تمثل هذا الفرعون مع الإله «حور» في «كاستل كتاجو» (Castel Cattajo) (راجع Wiedemann Gesch p. 411). هذا عدا ما ذكرناه فيما سبق.

أما عن آثاره الأخرى الصغيرة مثل الخواتم والتعاويد والجعارين فموجودة بكثرة (راجع Wilikenson Manners & Customs ed-Birch II, 342ff).

أما زوجه فقد عُثر لها على تمثال معه، كما سبق ذكر ذلك، كما وُجد لها خواتم (راجع Flinders Petrie Coll. Scarabs; Berl. Mus).

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على آثار هذا الفرعون نجد أنه على الرغم مما يُنسب إليه من طول مدة الحكم أحياناً بما يُقدر بنحو ربع قرن، وأحياناً بأنه لم يحكم بوصفه

ملكًا إلا سنين قلائل، فإن آثاره كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها بدرجة لا بأس بها، غير أننا مع ذلك نميل إلى الرأي القائل بأنه لم يحكم بوصفه ملكًا فعليًا إلا مدة قصيرة.

(٦) الموظفون في عهد «حور محب»

إن ما لدينا من معلومات عن رجال أواخر الأسرة الثامنة عشرة لا يمكننا من تمييز الرجال البارزين الذين خدموا في عهد الفرعون «حور محب» بصفة قاطعة، وقد يُعزى السبب في ذلك إلى تلاحق الملوك بسرعة على عرش البلاد بعد موت «إخناتون». ومن جهة أخرى لقصر المدة التي تولى فيها «حور محب» عرش البلاد منفردًا. وأهم الشخصيات البارزة في عهده ما يأتي:

(١-٦) نفر حتب

الكاهن «والد الإله».

كل ما نعرفه عن هذا الكاهن مستقى من مقبرته الجميلة المعروفة المنحوتة في صخور «العساسيف» في «طيبة» الغربية (راجع، Mem. Miss. Fr, V, pp. 489-540, (Pls. 1-VI).

وألقابه هي (١) والد الإله «لآمون رع»، وقاضي المكان العظيم، وتشريفاتي والدته (?)، وساقى الإله «آمون».

وقبر هذا الموظف يحتوي على مناظر ونقوش لها أهمية عظيمة من الوجهة الدينية من حيث إقامة الشعائر الجنازية، هذا إلى أنه يحتوي على منظر تاريخي ذي قيمة عظيمة؛ إذ نشاهد «نفرحتب» وهو يتقبل الإنعامات الفرعونية من يد الملك «حور محب» نفسه.

فنرى في قاعة مزار قبره على الجدار من جهة اليمين الفرعون «حور محب» في منظر واقفًا في الشرفة الملكية مرتديًا قبعة الملك الخاصة، وفي يده سوط ملكي، ويسير خلفه تابعان، وأمامه تشريفاتي البلاط، ويصحبه وزيراً الدولة، وخلف هؤلاء نشاهد «نفرحتب» رافعاً يديه بسرور، وكان يطوق جيده بقلائد من الذهب تابعان، ونرى كذلك

أساور من ذهب وقلائد كانت مجهزة على منضدة أمام الشرفة ليحلي بها جيده، والمتون التي تتبع هذا المنظر هي:
فوق صورة أتباع الملك: المشرف على أملاك الفرعون، وساقى الملك، وتابع الملك في كل مكان.

أمام الملك: السنة الثالثة في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري زسر خبر ورع (حور محب).

تأمل! فإن جلالته قد ظهر مثل الشمس في قصره صاحب الحياة المرضية، بعد أن قرب الخبز لوالده «أمون»، وعند خروجه من بيت الذهب انتشر الحبور في كل الأرض، ووصل الفرح إلى عنان السماء، وقد طلب «نفرحتب» والد الإله «أمون» ليتقبل الإنعام في حضرة الملك، وهو عشرات آلاف من كل شيء من الفضة والذهب والملابس والعطور والخبز والجعة واللحم والفطائر عند طلب سيدي أمون الذي يحفظ لي حظوتي في الحضرة (الملكية).

الكاهن المرتل يسر قلب أمون «نفرحتب» يقول: «ما أعظم أملاك من يعرف عطايا هذا الإله ملك الآلهة، وإن من يعرفه لذو حكمة، ومن يخدمه محظوظ، ومن يتبعه فإن نصيبه الحماية، وإنه شمس جسمه، وقرص الشمس المخلد ملكه أبداً». ولا نزاع في أن القارئ يشتم من هذا المتن رائحة بقايا عبادة «أتون» التي لم يكن في الاستطاعة اقتلاعها من جذورها دفعة واحدة، وبعد هذا الإنعام نشاهد «نفرحتب» متقلداً قلائد من ذهب، ثم يقابل أخاه «أمنحتب» وقد نُقش فوق رأسه اسمه والألفاظ التالية: «كوفئ بالفضة والذهب من الملك نفسه»، ثم يتبعه كاهن آخر يلبس قلائد مشابهة، ونُقش معه الكلمات التالية: «وصول والد الإله «لأمون» «برننفر» المرحوم، في سلام حاملاً إنعام الملك.»

أما المناظر الجنازية التي نشاهدها في هذا القبر فهي التي كنا نشاهدها في القبور التي من قبل عهد «إخناتون»؛ إذ نرى المتوفى في وليمة مع أسرته، وكذلك القربان التي كانت تُقدم، ومتوناً خاصة بالأعياد، غير أن الشيء الجديد الذي نلاحظه هنا هو ظهور متن يشبه المتون التي كنا نقرأها في عصر التشكك الذي جاء على أثر الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي تلا سقوط الدولة القديمة (راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الثاني ص ٢٢٢-٢٢٨)، ولا غرابة في ذلك؛ إذ لو أنعمنا النظر لوجدنا أن الانقلاب الذي أحدثه «إخناتون» قد أثار في نفوس القوم، وخلخل عقائدهم، وجعلهم ينظرون للحياة نظرة

تجعلهم يتجهون إلى التمتع بمناعمها ولذائذها؛ لأنهم لا يعرفون ماذا سيكون مصيرهم بعد الموت. وسنرى أن هذه السحابة المليئة بالتشكك لم تمكث طويلاً، بل ستهدأ النفوس ثانية، ويعود إيمانها عندما يعود الأمن إلى نصابه، وتسود السكينة في البلاد. وإنا من جانبنا للتمس لمصري هذا العهد بعض العذر بل كل العذر؛ إذ نجده في نفس الموقف الذي كان يقفه كاتب أغنية الضارب على العود الذي كان يرى مقابر العظماء والملوك تُحرب وتُنهب على مرأى منه، وهذا هو نفس ما شاهده «نفرحتب»؛ فقد رأى قبور الملوك العظام تُهدم وتُسرق على مرأى من رجال الحكومة وليس في مقدورهم عمل أي شيء لإصلاح ما تهدم منها، إلى أن قام «حور محب» بوضع القوانين الفذة، وأمر بإصلاح ما خربه الطغاة، وهاك نص هذه الأغنية:

ما أهدأ هذا الأمير الصالح. إن مصيره الطيب قد حان حينه.
إن الأجسام ينتهي أجلها منذ وقت الإله، ويحل محلها جيل آخر.
والإله «رع» يشرق في الصباح ويغيب «آتوم» في «مانوم» (جبل خرافي تغرب وراءه الشمس كل يوم)، والرجال تلقح والنساء يحملن، وكل أنف تتنسم الهواء.
ويطلع النهار وأطفالهم يذهبون فرادى وجماعات إلى أماكنهم.
أمعن اليوم في متاع أيها الكاهن! ضع العطر والزيت الجميل معاً في خياشيمك، وتيجان الأزهار، وأزهار البشنيين حول عنق أختك التي تحبها الجالسة بجانبك! وليكن الغناء والموسيقى أمامك! واطرح كل الآلام وراء ظهرك، وفكر في السرور إلى أن يأتي ذلك اليوم الذي تصل فيه إلى الميناء في الأرض التي تحب الصمت ... اقض يومك في سرور يا «نفرحتب»، أنت أيها الكاهن ذو اليدين الطاهرتين، لقد سمعت ما جرى ... جدرانهم قد خُربت، وبيوتهم كأن لم تغنّ بالأمس، كأنهم لم يكونوا منذ وقت الإله ...

(٢-٦) ري (روي)

رئيس الحكومة المركزية. كان «ري» يُلقب الكاتب الملكي ومدير أملاك «حور محب»، وكذلك مدير ضياع الإله «أمون». والظاهر أنه كان معاصراً لهذا الفرعون. وقبره في «جبانة ذراع أبو النجا». ومزار هذا القبر قد حُلّيت جدرانها بالمناظر الجنازية العادية؛ حيث نشاهد المتوفى واقفاً أمام الآلهة ومنظر الحساب والموكب الجنازي.

ولكن أهم ما يلفت النظر في هذه المناظر مشهد في ثلاثة صفوف نرى فيها أولاً «حور محب» وزوجه ثم «أمنحتب الأول» وزوجه «نفرتاري» يتعبدون للإلهة، وأخيراً نشاهد المتوفى نفسه تطعمه آلهة تتقمص شجرة (حتحور) (راجع Porter & Moss I, pp. 159-160).

(٦-٣) أمنمأبت

عُثر لهذا القائد العظيم على عدة قطع من جدران قبره، وتوجد الآن في عدة متاحف أوروبية كما يوجد بعضها في المتحف المصري، وقد درسها الأثري «أنكا»، ويظن أن قبره في «منف» في الجزء الشمالي (راجع A. Z., 67, pp 78-82).

وعلى الرغم من عدم ذكر الملك الذي عاش في عهده هذا القائد فإنه بطريق الموازنة أمكنه أن يستخلص أنه عاش في عهد الفرعون «حور محب»، وبخاصة أنه كان يحمل لقب القائد الأعلى لرب الأرضين، وكذلك لقب المشرف على كل الموظفين في الوجه القبلي والوجه البحري، واللقب الأخير كان يمتاز به «حور محب» قبل توليته الملك. وهاك ألقابه ومناقبه كما جاءت على القطع التي وصلتنا من قبره:

- (١) الأمير الوراثي والرئيس الأول لمقاطعة «منف».
- (٢) مدير عبيد الإلهة «ماعت».
- (٣) المشرف على الأعمال في معبد «رع».
- (٤) المشرف على الوظائف كلها في الوجه القبلي والوجه البحري.
- (٥) مدير كل أعمال الفرعون.
- (٦) المدوح كثيراً من الإله الطيب (الملك) القائد الأعلى لجيوش رب الأرضين.
- (٧) صاحب الفرعون الأول.
- (٨) رئيس الرماة.
- (٩) مدير بيت الفرعون «تحمس الثالث» (أي معبده).

وأهم ما يلفت النظر في القطع التي عُثر عليها من قبر هذا الموظف الكبير قطعة يُشاهد فيها «أمنمأبت» راکعاً يتعبد وقد نُقش أمامه صلاة يتضرع بها لحور إله الشمس؛ مما يدل على أن القوم كانوا لا يزالون متعلقين بعبادة الشمس، وإن كانت عبادة «أمون»

قد أخذت تتغلب على عبادة كل إله آخر، وما تبقى من هذه الصلاة أو الأنشودة هو: «السلام عليك يا أيها الإله الطيب، يا حور صاحب التيجان الجميلة، أنت يا شمس كل عين، ويا شمس كل من يتبعه.» ومن هذه الأنشودة نلاحظ أن النقوش كانت لا تزال متأثرة بعبادة إله الشمس التي كانت تتمثل «لإخناتون» في قرصها الذي كان يسميه «آتون».

(٤-٦) معي

لم يُكشف بعد قبر هذا الموظف، وكل ما لدينا من آثاره هو تمثال عثر عليه «لجران» في معبد الكرنك على مقربة من جنوبي مسلة الفرعون «تحتمس الأول» بالقرب من المكان الذي عُثِر فيه على تمثال «أمنحتب بن حبو» السالف الذكر، وهذا التمثال وُجِدَ مهشماً، وقد مُثِلَ جالساً القرفصاء، وعلى حجره ورقة مبسوطة يقرأ فيها، وقد نُقِشَ على صدره لقب الفرعون «حور محب». ومما يؤسف له أن نقوشه قد وُجِدَت مهشمة كذلك، غير أنه قد تبقى منها ما يدلنا على ألقابه وهي: حامل المروحة على يمين الفرعون، ومدير كل أعمال «أمون» في «الكرنك»، والكاتب الملكي، والمشرف على الخزانة. وهذا الموظف معروف لنا من قبل؛ فقد ذكرنا أنه هو الذي كلفه الفرعون «حور محب» بإصلاح مقبرة الملك «تحتمس الرابع» ووضع موميته في مقرها الفاخر. وفي استطاعتنا أن نفهم مقدار عظم مكانته عند الفرعون حينما نعلم أن حاكم «طيبة» نفسه كان تحت إدارته بوصفه سكرتيراً له. والخطاب الذي وجهه «معي» للفرعون وهو المنقوش على تمثاله من الأهمية بمكان؛ لأنه يذكر لنا الأعمال التي تمت في هذا العهد وما نال الآلهة منها.

يقول: «إن اسمك مضاعف جماله ضعفين يا ملك الأرضين، وإن والدك «أمون» قد أنجبك، وإنك أنت الذي قد شيدت له بيته من جديد، وجعلته ثابتاً أبداً. وإن الآلهة قد أنجبوك، وأنت تزيد في مؤنهم، وأنت الذي أقمته لهم معابدهم التي قد ذهبتم إلى البلى، وقلوبهم قد ابتهجت بما فعلته لهم، وإنك منعم تقيم الشعائر، وقد حفظوك حياً ثابتاً معافى مئات آلاف السنين في سلام، وإنك روحنا، والأنفاس تخرج منك، وأنت تعمل لبقائنا، واسمك يبقى كما تبقى الأبدية.»

والواقع أن الدور الذي كان يقوم به «معي» في خدمة «حور محب» هو دور رئيس الوزراء، وهو في ذلك يشبه «أمنحتب بن حبو» وما قام به من جليل الأعمال للفرعون

«أمنحتب الثالث». وتدل شواهد الأحوال على أنه هو الذي ساعد «حور محب» في كل الإصلاحات البنائية التي قام بها في طول البلاد وعرضها كما ذكرنا من قبل. والظاهر أن «معي» هذا هو الذي كان يشرف على حفر مقصورة السلسلة التي حفرها «حور محب» في هذه الجهة، غير أن الألقاب التي وُجِدَت للموظف الذي كان يشرف على هذه المقصورة، ليست موحدة مع ألقابه التي نُقِشت على التمثال، ولا مع التي على الصخرة، هذا إلى أن اسم صاحب النقش على مقصورة «حور محب» في «السلسلة» قد وُجِدَ ممحواً في كل مكان، ويفسر «لجران» هذا الاختلاف بقوله: إن «معي» كان رئيس كل أعمال «أمون» عندما كان في الكرنك ورئيس الأعمال في الجبانة عندما عُيِّن لتجديد مومية «تحتمس الرابع»، وعندما ذهب إلى «السلسلة»، وكان العمال يقطعون الأحجار العظيمة من الجبل، كان يحمل لقب المشرف على الأعمال العظيمة لسيده؛ أي إنه كان يحمل في كل مكان اللقب الذي يتفق معه. ولكن الأمر المدهش في نقوش «السلسلة» أن اسم هذا الموظف قد مُحِيَ، ولا نعرف لذلك سبباً قط (راجع A. S. p. 213-218).

(٥-٦) نب وع

الكاهن الأول للإله «أمون». وُجِدَ لهذا الكاهن تمثال، وكذلك قطعة من تمثال، وقاعدة تمثال، وتمثال مجيب، وقد جاء عليها ذكر اسم زوجه «موت نفرت» ووالده «حوي»، وكانت الأولى تشغل وظيفة مغنية للإله «أمون رع». أما والده «حوي» فكان يحمل لقب القاضي، والكاتب الماهر. ويُلاحظ أن «نب رع» كان يحمل لقب الكاهن الأكبر للإله «أمون» هكذا: الكاهن الأول «لأمون» البحيرة، والكاهن الأول «لأمون رع» البحيرة، الكاهن الأول «لأمون رع» ملك الآلهة للبحيرة، والكاهن الأول «لأمون رع» في «سما بحدت» عاصمة المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحري (راجع Histoire des Grands, Pretres d'Amon de Karnak (p. 245.) Legrain Repertoire p. 192).